اجتهادات
ما يجمع الكوم والفيلق

(شبَّه عيسى نفسه كواحد من عبيد اليونان .. مُقَّيد الرجلين واليدين، ومحشو فى عربة متهالكة تحمله إلى حرب لا يعرف عنها شيئًا). وعيسى أحد أفراد عائلة مجندٍ مغربيٍ سابق فى صفوف القوات الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى. وحول سيرة هذه العائلة عبر ثلاثة أجيال، تدور رواية (حرب الكوم) الصادرة حديثًا للأكاديمى والأديب المُبدع محمد المعزوز.
ويُقصدُ بالكوم المغاربة الذين جندَّتهم قوات الاحتلال الفرنسى قسرًا ليقاتلوا معها خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.
وتدورُ أحداث الرواية فى الأربعينيات من خلال شخصياتٍ وُضعت فى ظروفٍ ساعدتهم مأساويتها فى الارتقاء بوعيهم، وإدراك فظائع الاستعمار، وكيف أن الخلاص منه يتطلب نضالا شعبيًا. ويُبرز المؤلف هذا المعنى عبر شخصيتى الشقيقين عيسى وموسى، وهما فى قلب معركةٍ سيقا إليها فى الحرب الثانية، كما حدث لوالدهما وعمهما فى الحرب الأولى.
ولم يكن الكوم المغاربة وحدهم بين العرب الذين فُرضت عليهم المشاركة فى حربٍ استعمارية. حدث ذلك لعرب آخرين، ومنهم فلاحون مصريون أُخذوا لخدمة قوات الاحتلال

الإنجليزى فى الحرب الأولى، وأُطلق عليهم الفيلق المصرى. ولكن الفرق أن الكوم دُفعوا لخوض أعمالٍ قتالية، فى حين أن الفيلق كُلف بخدمة القوات الإنجليزية من خلال أعمال مثل تعبيد الطرق، وحفر الخنادق والآبار، ومد أنابيب المياه، ونقل معدات ومهمات وتموين. ُسخرةُ فى المغرب، ومثلها بشكلٍ مختلف فى مصر. كان هذا أحد أوجه الاستعمار البشعة الكثيرة. وجهُ أهمله المؤرخون والباحثون إلا نادرًا، وتركوا وثائقه نهبًا لعنعناتٍ اختلفت، وتناقضت أحيانًا، فيما اهتم به قليلُ من الأدباء هم فى الأصل باحثون. ولهذا تُذّكرُ رواية (حرب الكوم) برواية (الفيلق) للباحث فى تاريخ الحركة العمالية أيمن عز الدين الصادرة عام 2000، والتى تدور حول شخصية المرسى أبو العطا وصديقيه الوردانى ونوح الذين سيقوا مع غيرهم للعمل فى الفيلق خلال الحرب الأولى. وكما حدث لعيسى وموسى وغيرهما فى المغرب، أسهمت الظروفُ المأساوية فى رفع وعى أبو العطا وصديقيه وآخرين. ولكن هذا الوعى الوطنى فى الروايتين يضيف إليه عز الدين فى روايته وعيًا طبقيًا بدافعٍ من خلفيته اليسارية.